

عزلة حينما تمر بعيون الزرود الصلدة
والأعلام المعزقة التي يتكون منها
آيات هذا القصر الذي بنى في عهد
الاقطاعيات .

وعلى حين غفلة سمع وقع أقدام
سريعة على السلم وكأنه يرتعد ، ثم
فتح الباب بمنف وظهر جيسار رئيس اصطبلات
البارون والرعب باد على وجهه وهرب إلى منضدة
سيده وهو يصيح :

— سيدى! سيدى! إن شيطاناً فى الاصطبل.

— مامعنى هذا الجنون؟ ثم وقف البارون واستاء
من هذه المقاطعة .

— إننى أكون فى حل من عاقبة غضبك إن كنت
أقول غير الحق ، وإن أبوليون . . .

ثم سكت لحظة

— تكلم أيتها الأحمق فإن الرعب قد أفقدك صوابك!
هل أصاب جوادي مرض أو وقع له حادث؟

وكل ما استطاع أن يتفوه به أن كرد (أبوليون)!

— وإذا كان (أبوليون) موجوداً فلا داعى لـ

هذا الفزع

— إن الشيطان بجانب أبوليون

— يالك من معتوه. ما الذى ذهب بحجلك. إن
رجلاً مثلك ولدوا ليقوموا بخدمةنا يجب عليهم أن

يتعلموا على كل صعوبة. ثم قام وأنجبه إلى الاصطبلات
وكانت فى الطرف الأخير من القصر وبها خمسون

جواداً للسباق من كرام الخيل مربوطة على صفين
وبجانب كل جواد أسلحة الهجوم والدفاع بحالة

جيدة . دخل البارون وخلفه خادمان وهو دهش
من هذه الاستغاثة الغريبة وسار بين صفى الخيل إلى

النار المقدسة

للكائنات لا يجتازها ولا تتركها
بقلم الأستاذ محمد كامل نجاشى

ولو أن بارونات أرنهيم كانوا يهتمون أبا
عن جد بالمعلوم الروحانية إلا أنهم كباقي التلباء
الألمان حربيون مولعون بالصيد . تلك الصفات
كانت ممثلة فى البارون هرمن دارنهيم جد آن
دوجيرستين لأنها ومن كان يفخر بأنه يملك أغخم
الاصطبلات وأكرم جواد للسباق فى ألمانيا ، وإنى
أرك وصفه وأكتفى بالقول بأنه أسود كالسبع
(حجر كريم أسود) وليس به شعرة واحدة بيضاء
لا فى جبهته ولا فى أرجله . ولهذا السبب ولكونه
حاد الطبع أسماء صاحبه (أبوليون) هذا مما زاد
الاشاعة الدائمة عن بيت أرنهيم ناكيداً لأن البارون
أطلق اسم أحد الشياطين على جواده .

وفى ذات يوم من نوفمبر ذهب البارون إلى
الغابة ليصطاد ولم يرجع إلا عند ما خيم الظلام ولم
يجد شيئاً جديداً فى القصر أو زائراً غريباً . لأن
البارونات ما كانوا يقابلون فى قصورهم غير من
يتوسمون فيه العلم والمعرفة ليزيدوا معلوماتهم .

كان البارون جالساً وحده فى بهوه ويده
كتاب لا يستطيع هو أو غيره أن يقرأ حروفه ،
وكانت يده الأخرى متكئة على مائدة من الرخام
وعاها زجاجة من نبيذ توكي ، وفى آخر هذه الغرفة
يرى حاجب واقفاً وقفة احترام ، وقد ساد السكون
ولم يسمع غير زفيف رياح الليل كأنها تنن بنغمة

شاهدوا زيه القريب كثيراً مثل ما فزع منه جبار حينما رآه في الاصطبل دون أن يعلم من أين دخل .
 وحينما أدخله البارون إلى البهو وتلقاه بترحاب واحترام . وقد لاحظ في ضوء المشاعل أنه رجل طويل القامة يلبس ثياباً أسبوية أى قفطاناً أسود كالذى يلبسه الأرمن وقلنسوة مربعة عليها عمامة سوداء من صوف اصطراخان، وكانت ملابسه جميعها سوداء ، وقد تدلت على صدره لحية بيضاء فزادت وضوحاً وسط هذا السواد ، وبوسطه حزام من حرير أسود علق به خنجرآ وسيفاً قصيراً مقوساً في غمد من الفضة ، وكان متحلياً بخاتم من الياقوت كبير الحجم تتلأأ منه أشعة لطيفة . ثم قدم له البارون الحلوى والمرطبات فقال له :

— لا أستطيع أن أكرس لقمة أو أضع نقطة من الماء فوق شفتى إلا بعد حضور المنتقم أمام بابك .
 ثم أمر البارون بإيقاد المصابيح وزيادة عدد المشاعل ثم قال لجميع رجاله : إذهبوا لتستريحوا .
 ولبت وحده مع القريب .

وفي منتصف الليل تزعزعت أبواب القصر ، وسمع لها صوت كصوت الأعاصير الموحج ، وسمع صائح يقول : أسلموا إلى أسيرى دانيشمند بن على . ثم سمع جاب القصر صوت نافذة تفتح وعرف صوت سيده وهو يخاطب الصائح المنذر وكان الليل حال كذا فلم يستطع أن يميز أحد المتكلمين ، وكان الحديث بينهما بلغة غير مفهومة .

وبعد خمس دقائق استأنف الصائح حديثه باللغة الألمانية قائلاً :

— إذن أؤجل تنفيذ حق سنة ويوماً بشرط أن أنفذ الواجب وألا ترفض بعد ذلك أو تعارض في تنفيذه .

ومن هذا اليوم استقر الفارسي في قصر أرهم

أن اقترب من جواده الفضل الذى كان في طرف الاصطبل فلم يصهل الجواد ولم يحرك رأسه ولم يضرب برجليه كما دأبه حينما كان يمر عن فرجه بمقدم سيده ، بل اكتفى بالأنين كأنه يستغيث بسيده . رفع هرمن مشمله ، فوجد رجلاً كبيراً متكئاً بيده على كتف الجواد

— من أنت ؟ وماذا تصنع هنا ؟

— أبحث عن ملجأ وضيافة ، أنوصل إليك بكتف جوادك وفرند سيفك ، جعلهما الله لك عوناً على الشدائد !

— إنك إذن من إخوان النار المقدسة ، ولا أستطيع أن أرفض طلبك احتراماً لمذهب السحرة القدسي . إنك تطلب حمايتي خوفاً منى ، ولاية مدة ؟

— خوفاً من الدين سيبحثون عني هنا قبل صباح الديك ، لمدة سنة ويوم تبدأ من هذه الساعة .
 إن قسمي وشرفي لا يسمحان لى بالرفض ، وسأحميك ، وسيكون قصرى مأواك وستجلس إلى مأدتي وتشرب نبيذى ، كما أنك يجب عليك أن تحترم أوامر زرادشت إذ قال : « فليجهم القوى الضعيف » كما قال أيضاً : « فليعلم الحكيم من هو أقل منه علماً » .

إننى القوى وستكون فى حماي ، وأنت الحكيم ويجب عليك أن تعلمنى الأسرار الخفية

— أريد أن تلهو على حساب خادمك ، وإذا كان دانيشمند يعرف شيئاً يفيد هرمن فإن تعليماته تكون كتعليم الوالد لولده

— أخرج إذن من غيبك؟ وإنى أقسم بالنار المقدسة التى تعيش بدون إسماء أرضى وبالأخاء الذى يسود بيننا ، وكتف جوادى ، وفرند سيفى لأحمينك عاماً ويوماً بقدر ما تسمح به سلطتى .

خرج القريب من الاصطبل ولم يدهش الدين

إلا لتعليمك فانك ستقبر مع سيفك وفرسك وتكون آخر سلالة بيتك من الذكور، وستحدث لك مصائب أخرى لأن هذا الزواج لا تنتج منه نتيجة سعيدة.

— مه فأنهم يراقبوننا .

ولما أنتم دانيسمنند إقامته في القصر خرج منه راكباً جواداً كالسياح وودعه البارون والأسف ملء فؤاده، فطمأنه الحكيم وقال له بصوت منخفض سمع منه هذه الجملة :

— سنكون على مقربة منك وقت ظهور أشعة الشمس الأولى فاعطف عليها ولكن لا تتورط في عطفك .

ثم سافر بعد هذه الكلمات ، ولم ير بعد هذا اليوم ، ولم يتحدث عنه أحد في ضواحي القصر .

وخلافاً لمادته جلس في البهو الكبير ولم يدخل المكتبة ولا العمل الذي حرم التمتع فيه بمصاحبة أستاذه . وبعد ما غسل وجهه وأصلح من هندامه انتظر إلى أن ظهرت أشعة الشمس ودخل معمله وخلفه أحد الخدم فوقف على الباب لحظة وفكر في صرف خادمه ، وردد في فتح الباب ثم صمم على الدخول كمن ينتظر أن يرى شيئاً غريباً . وحينما دخل وخادمه وراءه، دهش من المفاجأة الغريبة التي واجهها بشيء من الدهر لأنها وإن كانت عجيبة ولكنها محبوبة تسر الناظرين .

لم ير البارون المصباح الفضي على قاعدته بل شاهد مكانه غادة فتاة مرتدية حلة فارسية قرصية اللون حامرة الرأس كستنية الشعر وقد عقدته بشريط أزرق وثبته بأعلى جبينها بمشبك ذهبي يزينة فص ثمين من عين^(١) الشمس المتعدد الألوان وكان يمسك بين ألوانه لونا أحمر كالنار .

(١) حجر كريم يسمى بالفرنسية Opale

ولم يتمد يده ، وقد ركز لهوه وعمله في مكتبة القصر ومعمل البارون الذي يشتغل معه فيه عدة ساعات متتامة .

لم يجد سكان القصر في سيرة الساحر الفارسي نبأ يلام عليه ولكنهم لاحظوا أنه لم يقم بشيء من شعائره الدينية كما أنه لم يحضر أية حفلة دينية . وفضلا عن ذلك كان دانيسمنند مواظباً على صلاته الفردية وقد صنع مصباحاً من الفضة بشكل بديع ووضعه على عمود صغير من الرمرمر ونقش على قاعدته سطوراً أشبه بالهيروغليفي ، ولم يعلم أحد إلا البارون بأى مادة كان يغذي هذا المصباح لأن لهبه كان نقياً جداً يفوق أنواع الذهب المعروفة بعد الشمس . وقد لاحظوا على الغريب أنه في غاية الحشمة والشدة ، كثير الصوم والصمت لا يتحدث إلا البارون عند الضرورة ، كان كريماً لا يعوزه المال فلذلك احترمه الخدم دون خوف .

أعقب الربيع الشتاء وأتى بعده الصيف فتفتحت أزهاره ثم أقبل الخريف بثماره فنضجت وتساقطت وكان بالعمل حاجب يساعد البارون عند الحاجة إليه وقد سمع الفارسي يقول للبارون :

— يحسن يا بني أن تصنى إلى أقوالى لأن الدروس التي ألقيتها عليك تنتهى الآن، ولا سلطة فوق الأرض تستطيع أن تؤخر طويلاً ما قدر على . — وا أسفاه يا أستاذى ! أيجوز أن أحرم دروسك حينما أحتاج إليك لتضمنى فوق ذروة معبد الحكمة !

— لانيأس يا ولدى فستقوم ابنتى باتمام دراستك حتى تبلغ الناية، وستحضر هنا لهذا الغرض . ولكن تذكر جيداً أنك إذا أردت أن تخلد اسمك وجب عليك أن تحفظها عندك كمساعدة لتعليمك . وإن كان جمالها ينسبك أنها ما خصصت

كانت هذه الفتاة متوسطة القامة ممشوقة القد باعتدال وجمال ورشاقة، تلبس سراويل فضفاضة ربطت أطرافها في كمبها، صغيرة الرجلين، وترى تحت طيات ثوبها ذراعان ويدان آية في الجمال والانسجام، وكانت سحنتها تدل على النشاط وقوة التعبير وحدة الدكاء، ولها عينان سوداوان يعلوها حاجبان انتظم قوساهما وزججت أطرافهما، وفم صغير وشفتان قرمزيان علامهما الابتسام الخفيف كأنهما توشكان أن تتلفظا بالقول .

ويظن لأول وهلة أن الكرسي الذي كانت واقفة فوقه لا يستطيع أن يحمل حملاً جسيماً ولكنها كانت عليه في غاية الطمأنينة والخفة كمصفور حطم من الجو على فربع وردة . وحينما دخلت أشعة الشمس الأولى من النافذة المواجهة لهذا الكرسي زادت هذا التمثال الخي بهاء وجمالاً، وكانت ساكنة كالمرمر، ولم تظهر أنها لمحت حضور البارون إلا بسرعة تنفسها واحمرار خديها وابتسامها الساحر المهادى . لم يكن البارون يتوقع أن يصادف مثل هذا الجمال الفتان فأنهر عند مشاهدتها ولبت لحظة ساكن الحركة، وأراد أن يحسن مقابلة زائرتها فتقدم إليها باسطاً ذراعيه ليساعدها على النزول ولكنها لم تقبل منه غير مساعدة يده وقفزت بكل خفة على الأرض كأنها من الكائنات الجوية ثم قالت : — لقد جئت طوعاً للامر الذي تلقينته ويجب أن تنق أنك ستجد منى مملعة جادة، وآمل أن أرى فيك التلميذ المجتهد المثبت .

وبعد حضور هذه الغادة الفتاة حصل تغير عظيم في قصر أرنيهم . قبلت إحدي السيدات وهي ابنة كونت من أقارب البارون أخنى عليها الدهر أن تشرف على خدام القصر، ولتبعده الشبهة التي يلصقها به الناس من وجود هذه الفتاة التي أطلق

عليها الناس اسم الحسنة الفارسية . فكانت الكونتيس ولدستين لا تفارق البارون حينما يتلقى دروسه من هذه الفتاة التي حلت محل الساحر الشيخ، فكان يدرس معها في المكتبة أو في العمل . وكانت أعمالها غريبة جداً، كانت ترعب بها بعض الأحيان البارون، وكانت المعلمة لا تقبل مطلقاً أن تعمل شيئاً محرماً بل كان عليها لا يتعدى الحلال المشروع . كان أسقف بمرج يمد حكيماً عظيماً في مثل هذه المواد فزار قصر أرنيهم ذات يوم ليقف على مبلغ ما وصل اليه علم الفتاة هرميون التي ذاع صيتها في جميع البلاد التي يرونها الرين . وحينما دارت بينهما المناقشة تحققت من تبحرها في علوم الدين وقال إنها دكتور في التوحيد تلبس ثياب راقصة شرقية، وإنه كان يعتقد أن ما قيل في شأن هذه الفتاة مبالغ فيه فتحقق أنه لا يبلغ نصف حقيقة فضلها .

وهذه الشهادة التي لا تجرح قد وضعت حداً للإشاعات السيئة التي دارت حول الحسنة الأجنبية حتى حازت أخيراً عطف الجميع . وقد حصل تطور جديد في مقابلات المعلمة وتلميذها فكانت دائماً بتحفظ واحتياط ولم تقتصر على المكتبة والعمل . فكانا يمشيان اللو والنسلية في الحدائق والصيد في البر والبحر وبحيان الليل في الرقص .

كانت هذه الفتاة حلوة الشبائل فتاة شائقة الحديث حادة الدكاء في منتهي اللطف والوداعة والكرم، وقد وزعت على صديقاتها كثيراً من الخلى كانت بارعة في الرقص لخفتها ومهارتها فلا يهتريها أى نسب مهما طال الرقص حتى أن أمير الراقصين لا يستطيع أن يجاريها .

وحينما كانت مجتهد نفسها في الرقص أو الرياضة ويتورد خذاها كانوا يزعمون أن فص عين الشمس

ولديتين تصدر منها إشارات قلق وحيرة، ولما انقضت الجماعة من حوله اقتربت منه وقالت له :
كن بصيراً ولا تعمل شيئاً فيه مجازفة، واعلم أن فص
عين الشمس فيه سر عظيم غريب .

— هل أنت أيضاً حقا ؟

وفي هذه الآونة دخلت البارونة ووجهها شاحب
من النفاس فجلست على المدعويين ثم أقبل البارون ورجا
منها أن تدعو الحضور للذهاب إلى الكنيسة وكان
الصبي محملاً على محفة فاخرة تحملها أربع فتيات .
ولما دخل البارون الكنيسة غمس أصبعه في ماء
الممودية ودهن جبين البارونة وأراد أن يفند اقترانه
البارونة ستينفيلد بطريقة غير ظاهرة فأسقط نقطة
من أصبعه على الفص فانفجر منه لب متوهج
كالشهب الساقطة وفقد لألاءه وأصبح كالحصاة ؛
وسقطت في الحال البارونة على رخام الكنيسة وهي
تئن أنيناً شديداً من الألم . دعر المدعوون من هذا
الشهد وحلوا البارونة إلى غرفتها . وفي هذه الفترة
القصيرة حصل تغير عظيم في ملامحها وضمف نبضها
ثم رجت منهم أن يتركوها مع زوجها ، ثم جلس
بجانها ساعة وخرج وأقفل الباب بالقفل ورجع
إلى الكنيسة وركع بكل خشوع أمام المحراب ساعة
وحينما أقبل الأطباء طلبت الكونتيس ولديتين
من البارون مفتاح الغرفة فناولها إياه قائلاً : لا فائدة
من أي إسعاف ؛ وطلب منها أن يغادر القصر المتخلفون
ولما فتحوا الغرفة لم يجدوا في السرير غير حفنة
من رماد كالدي يتخلف من إحراق ورقة . وعندئذ
أعلنوا الجنازة وأقاموا الشمار الدينية .

وبعد ثلاث سنين ، وفي نفس هذا اليوم توفي
البارون ودفن في ضريح الكنيسة بالقصر ودفن معه
سيفه وخوذته وترسه وكان آخر الدكور من أسرته .

محمد لامل صبايح

الذي زين مشبك شعرها ولا يفارقها يتطار منه
شرر وألسنة من نار . وقد لاحظ عليها خادمها
أنها حينما كانت تنضب يحمر هذا الفص العجيب
كأنه يقاسمها تأثرها ، وكانت تتجنب أن تبه بالماء .
ولم تمنع هذه الأقاويل البارون من اقترانه بهذه
الفتاة الجذابة وقضاء شهر الزفاف على أنخم شكل . وعاش
الزوجان في هناء وسعادة . وبعد عام ولدت بنتاً أسمتها
سيبيل كاسم والدة البارون ، ثم حددوا ميعاد حفلة
التمعيد حين تتأهل الوالدة للشفاء . ثم دعى الناس من
كل فج وازدحم القصر بالأفواج .

وكانت بين المدعوات سيدة عجوز تدعى البارونة
ستينفيلد اشتهرت في كل مكان بفضول غريب
وصلف وقحة ؛ ولم تمض عليها بضعة أيام في القصر
حتى جمعت لها خادماتها كل الإشاعات التي ذاعت في
القصر عن البارونة هرميون .

وفي صباح اليوم المحدد للتمعيد والناس مجتمعون
في البهو ينتظرون ربة القصر ليذهبوا إلى الكنيسة
شجر خلاف بين البارونة التي سبق الكلام عليها
وبين الكونتيس ولديتين لأسبعية المقام فحكوا
البارون ليفصل بينهما فحكم لصالح الكونتيس .
فغضبت البارونة وأمرت بإحضار جوادها في الحال
ثم ركبت هي وأتباعها وقالت :

— إنني أترك قصرآ لا تقبل مسيحية صالحة
أن تدخله . أغادر قصرآ صاحبه ساحر وصاحبه
شيطانة تخشى أن تبل جبينها بالماء المبارك .

ثم تقدم البارون بضع خطوات وقال : أسألكم
والنبلاء ! هل فيكم من يشهر سيفه ليذكي كذب
البارونة الفاضح الذي تقاياه ضد زوجي وقريبي .
رفض الجميع أن يدافع أحد منهم عن اقترانه
البارونة ستينفيلد وأعلنوا أنه كذب وادعاء .
وبينما كان البارون يتكلم كانت الكونتيس